إلى من سأقدم لهُ حياتي
إلى طفلي الذي وُلِدَ في
الذاكرة .. إلى
نوح
NOAH
غادة محمد ريحاوي

نوح

الأهداء

- إلى أمي التي أُهديها كُل ما أملك كونها كُل ما أملك
- إلى أبي وصديقي الأول الذي حاولتُ أن أكتب لهُ مِراراً وفي كل مرة نتائج محاولتي تصل إلى الفشل..
- إلى أحلامي التي حلِمتها ولم تُصادفني إلاّ بعضها ..
- إلى قلمي الذي حوّلَ حياتي لِكلمات أقرأها كُلما أضعف ..
- إلى الأصدقاء الذين يحملون لي حباً حقيقياً كاملاً لا تُنقِصهُ العلاقات الطويلة
- وإلى من أكتُبَ لهُ..
- نوح صغيري
- وإلى نوح مروة ذلك الطفل الصغير الذي عندما صادفتْ عيناي ملامحهُ تلّبس قلمي ثوب الإبداع

غادة محمد ريحاوي

نوح

اسم الرواية : نوح

اسم الكاتبة : غادة محمد ريحاوي

يمكنكم متابعة الصفحة الرسمية على الفيسبوك ..

https://www.facebook.com/ghadam.rihawi.5

كما يمكنكم التواصل عن طريق الرابط

Ghadarihawi5@gmail.com

نوح

المقدمة

في البداية ..لا أعلم إن كُنت ستقرأ ما أكتبهُ لكَ كونهُ سابق لأوانه ولا أعلم مشيئة الله إن كان سينيرَ حياتي بِك أم لا .. إن أتيت فأهلاً بِك بأيامٍ صعاب وثقتي بِك أنك ستنجح ..وإن لم تأتي سيبقى كتابك محفوظاً داخلَ قلبي ..

ولكن يا عزيزي قررتُ أن أُطلِعُكَ على تفاصيلَ صباي .. كون الأزمنة والأجيال تختلف .. وأُريدكَ أن تعرِفَ أُمكَ قبلَ أن تُنيرَ حياتها بمجيئك .. أمك التي تكتب لِطفلها ولم تعرف أباهُ حتى .. سأكون الأولى على هذا الكوكب .. وسأجعلُكَ مميزاً منذُ صِغرِكَ يا أحبّ الناسَ إلى قلبي .. و يا أكثرهم لطفاً ..

مقدمتي هي .. يجب أن تعلم يا عزيزي أنني أُحبك حتى وإن وبختُكَ على أفعالٍ ارتكبتها بحقِ نفسك وآذتك .. وإن لم أسمح لكَ أن تُغيب عن المنزل لساعاتٍ طِوال .. وإن منعتُكَ أن تأكل طعامك اللذيذ الغير صحي .. فأنت أولى من الألم ومن أصدقائكَ ومن المرضِ بِكَ .. اقرأ ما أكتبهُ لكَ الآن دائماً لأشعر أنني بجانبِك طيلةَ حياتي .. أُحبك

غادة محمد ريحاوي

نوح

الفصل الأول...

عمرٌ ناقص ..

هي حياةٌ ما قبل نوح ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

اخترتُ لكَ اسمكَ اليوم صغيري .. سأطلقُ عليكَ نوح لعلّك تنعم بالراحة طيلةَ حياتك وتأخذ كُل النصيب من اسمِك .. وإن عارض أبوك سأكونُ لهُ بالمرصاد.. وسأسميك نوح رغم أنفهِ

_سوريا (حلب)٢٠٢٢

من حيثُ هُنا كانت بدايتي .. ولادتي .. منشأي .. وكُل ما شابه

.. بدايةُ عامٍ جديد نملكُ فيهِ شعاع أمل متناسيين الحرب التي شارفت على الانتهاء ونبدأ ترحيباً بالأزمات الاقتصادية ..

بدأتُ عامي وأنا في الجامعة .. تخصصتُ الرياضيات .. أحببتُ مجال الأرقام والحسابات كونني لا أستطيع أن أحفظ نصاً ولا مواصفاتِ إنسان .. لا درساً ولا علوماً عامة حتى وإن كانت شرحاً عن هيكل حيوان ..لا رقماً ولا عنوان .. فأمُكَ يا عزيزي سريعة النسيان ولا أتمناك أن تأخذ صفتي هذي لذا سأطعِمُكَ بيضاً وكل الأشياء التي تجعل الذاكرة محطاً للأمان ..

كانت أيامٍ صعاب .. تلقيتُ شهادة الثانوية رغم العقبات التي واجهتها بالعام الماضي وكانت أيام لا أتمناك أن تنال جزءً منها ..

حبي للدراسة كانت نسبتهُ ضئيلة جداً ولكن ثقتي بأنني قادرة على كل شيء بوجود الله كانت أكبر من كل شيء

غادة محمد ريحاوي

نوح

أسرتي هي المشجع الأول لي على الكتابة .. وكُنتُ دائماً أشهد تطوراً ملحوظاً من هذهِ الناحية .. وخصوصاً عِندما أملأ وقتي بقراءة الكتب .. ووالداي كانا يزودانني طاقة لأكتب .. فأنا هديتي الكبرى هي والدان أتمنى لفلذةِ كبدي مثلهم ..وأخوتي الذي أكبرهم أنا وأصغرهم آدم وأوسطهم مُحمد وريّان.. بالنسبةِ لي اتوقع أنني احمل بعضَ صِفات أمي والبعض من أبي وسأطبقهم عند تربيتُكَ ولكن أباكَ الغائب يا عزيزي لم أصادفهُ حتى الأن لأعرف صفاتهُ .. يبدو أنهُ قد أضاعَ حِصانهُ الأبيض عِندَ طريقهِ ألي ..

جَدُكَ هو شخصٌ حليم .. ذو طلةٍ بهية وأخلاقٍ رفيعة بُتُ أُحسد عليه .. ودائماً ماكنتُ أتمنى لك أباً مثلهُ ..

وجدتُكَ التي تحمِلَ صبراً حتى ظننتُ يوماً أنها ستنال وسِاماً كونها أكثرَ من تحّمل على الإطلاق .. فأخي آدم رغم صِغَرهِ سناً لم يتصف بصفات الأطفال البريئين الإطفاء.. وأمي هي من تتحمل .. ومع الأيام سترى بنفسك إن جِئتَ شبيهاً بأخوالك في التركيبة الجينية سأعود بك لأحشائي حيث مكانك داخلي أفضل لي من مكانك في الحياة .. فلا تتوقع مني أن أبتسم وألاعبك عندما تُعكر عليَّ لحظة كتابتي .. أو عند احتسائي كوباً من القهوة إن كان صباحياً أو مسائي .. فأرجوكَ لاتكن مُشاغباً .. لأنني لا أتوقع أن أكونَ لكَ أُماً لطيفة .

غادة محمد ريحاوي

نوح

تجاوزتُ أيام المدرسة بصعوبةٍ كبرى كونَ أبغض الأشياء لدي هو الاستيقاظ باكراً ولكن عِندما وصلتُ إلى الجامعة اكتشفتُ أنني أبغض الدراسة.. حتى أنني بدأتُ بالكتابةِ لك ولديّ امتحانٍ فصلي بعدَ ثلاثةُ أيام ..تلقيتُ جُرعةَ تشجيع البارحة وقررتُ أن أبدأ بدراسة المادة ولكن نسيتُ أنني لم أكتب التمارين المطلوبة التي شرحها لنا الدكتور ولم أشتري المحاضرات .. فحظها أوفر لم أدرسها لاكتشف نظرياتها الجديدة.. ويضيفونها بالمقررات باسمي وأتلقى الدعاوي من الطلبة وتصبح نهايتي مثل إسحاق نيوتن يدعونَ عليّ بدلاً من أن يدعوا لي .. انتبه .. أنا لم أقصص لكَ لأكونَ لكَ قدوة من حيث الدراسة .. العِلمَ يا ولدي مفيد ولكن ليسَ لأمك ورغم ذلك أنني تعلمت وتلقيتُ الشهادة الثانوية ..هذه هي الحياة تفرض عليكَ أن تفعلَ أشياء لا تُحبها ..لعلّك تأخذ من عِلمكَ الاستفادة المادية ولعلّني أفتخر بِكَ إن أصبحتَ رجُلاً متكلماً ذو شأن تأخذ من جدِك الحكمة ..

وها أنا بدأتُ أنصح كالأمهات وأعيشَ دورهم بشكلٍ كامل متكامل .. أتعلم يا طفلي أن حياتُنا نحنُ الأمهات قاسية بالقدر الكافي ندرس ونعمل ونحمل وننجب ونحمل مسؤولية زوج وعائلة وأطفال .. لو تعلم أن الأمرَ مُرهق للغاية كوونني من عُشاق النوم لذلك أنا مترددة بفكرةِ الزواج .. يبدو أنكَ لن تأتي ولن تقرأ .

غادة محمد ريحاوي

نوح

الكسل مُسيطر على حياتي بشكلٍ عام ولكن عِندما اشتري كِتاباً أو روايةٍ جديدة كان لديّ الاستعداد أن أُصادق الليلَ في السهر لأُنهيها .. وهذهِ العادة تؤكد لي على أنني أملك إرادة قوية جداً ولكن الأمر بعض الأحيان يتعلق بالضمير ..

ولِذا أتمنى لكَ أباً نشيطاً ينام القليل ويعمل الكثير يهوى النشاطات ويسعى دائماً لتطوير أسرتنا .. وأهم من هذا أن لا يكون اعتمادهُ الكامل عليّ .. حتى لا أقتادكم إلى الهاوية ..

فأينَ هذا النشيط ليهوى تلكَ الكسولة؟..

وإن لم ألتقيه سأعوض أمنيتي بِكَ .. سأزوجك بفتاة تحمل صفاتي .. أعلم أن بعضها سيء للغاية ولكنني انسانة ناجحة رغمَ كسلي ..والدليل هو أنني إن أراد الله سأُنجبكَ عزيزي .

غادة محمد ريحاوي

نوح

سوريا (اللاذقية)٢٠١٢

منذُ عشرِ سنوات قامت الحرب على سوريا .. بالحقيقة شاهدتُ بدايتها .. وعِندما بدأ سفك الدماء في مدينة حلب ..

لم يحتمل جدُكَ ما حدث .. اصطحبنا لإرياف اللاذقية حيثُ هُناك جدتي وجدي وأعمامي الذي سبقونا قبلَ أيام ..

كُنتُ طفلة على أبواب العاشرة .. أقف أمام شُرفتي وأتأمل موجات البحر الهادئة والشجر الأخضر المُحيط بكل شيءٍ .. جميع الأشياء هادئة في الريف حتى سكانه .. حبي لهذه البلدة بدأ يظهر على ملامحي .. عشتُ الكثير من المشاعر هناك .. السعادة والحزن .. الخوف والأمان .. وبعض الحرمان .. ملكتُ أصدقاءً كُثر أذكرهم واحداً واحداً حتى الآن .. وأمك يا عزيزي كانت محبوبة علماً أنها لم تأخذ قدراً كافياً من الجمال .. والحب الطفولي لم أقصص عنهُ لأحداً بهدف الكتمان ..جعلتهُ سراً عند الشجر .. وجلستُ ليلاً أمام البحر .. وقلتُ عنهُ للقمر ..

بيتُ سر الجميع أنا التي كُنت .. و مترأسة النشاطات المدرسية ومرشحة من قبل أصدقائي حتى ..

ما زلتُ أذكر أيامي هُناك .. كانت أحلى اللحظات التي عشتها ..وأحنُ أليها عند لحظتي هذه .

غادة محمد ريحاوي

نوح

سوريا (حلب)٢٠٢٢

أكتبُ لكَ اليوم .. حتى تعلم كيف أنني تخطيتُ العقبات واستمريت .. ربما زمنكَ الحالي أقسى من زمني وربما زمني أكثرُ قساوة.. ولكن الحياة واحدة .. يختلف فيها فقط هؤلاء الذين يعيشون .. وأنا عِلمتُ هذا بنفسي ..

قبل الحرب التي قصصتها عليك كان هناك أُناس طيبون .. يجمعهم رابط الخير .. كُنا لانسمعُ بالفقر إلا بالدول النامية .. أو عندما كان جدك يقصص علينا حكايات بعض البؤساء .. كان للصباح إشراقةَ شمسٍ متميزة .. ولليل ضوءَ قمرٍ مختلف .. كُنا لانعرفَ الحزن ولا نواجه الضجر .. ننام من فرط السعادة ..ونصحى على أصوات المارة .. لذةُ الطعام كانت تود أن تأكل نفسها .. كان لرمضان قصة من ثلاثينَ يوماً .. وللعيد قصة من ثلاثين يوماً والأفراح والأتراح ..

باختصار .. كُنا نُعطي الشعورَ حقهُ بالوقت .. والمناسبات كانت تأتينا على عجلة من أمرها ..

والبركة يا ولدي لا تفارقنا.. ضحكة جدتي و لطافة حضورها .. ولحظة وصول جدي وملاعبتهُ لي ..

هي أكثر من سعادة تلكَ الايام التي اقتنيناها ..

وربما كانت هي الحياة الحقيقة التي توفينا بعدها .

غادة محمد ريحاوي

نوح

حياتنا اليوم هي عبارة عن لصق لنسخ يومٍ سابق .. أغلب الأُسر مردودها المادي متساوي أي شيءٌ قليل يشترون بهِ قوتَ يومهم الحالي .. وهُناك أُسر تنام جوعى ..

حياتنا اليوم تزداد قساوة بكل دقيقة تمضي .. أصبحنا نتصنعُ السعادة في الافراح .. ونحزنُ القليل في الأتراح .. لأننا نعيشُ أياماً من غيرِ شعور على عكس ماضينا ..

وننامُ كثيراً لننسى ما حدث .. ساعاتنا تمضي من غير أن نشعر بها .. لأننا لم نفعل سوى هضم الأوجاع والتظاهر بأننا بخير ..

فالحرب تفتت لأشلاءِ مبعثرة صغيرة خلّفت أثرها في كل مكان .. وعِند كل طاولة طعام .. هناك كرسيّ فارغ .. هذا ما آلمنا على مر السنين .. البعد .. الفقد .. الحرمان ..وعدم الأمان .. جميع ماكنا نشعر بهِ ونحنُ أطفالاً كان أقسى في كل مرحلة نعيشها .. ونحنُ من فرط الألم لم نعد نقدر على المواساة ..فبات الموت كالحياة ..

كُنا نعيش على قول سنعود كما كنا قريباً .. سينتهي كل شيء هذا العام .. سنشربُ الماء لنرتوي .. ونأكل لنشبع .. في هذا العام سيذهب الألم مع ديسمبر وسنبدأ من جديد .

غادة محمد ريحاوي

نوح

كتبتُ لك عذاب سنينَ بورقة .. أيا ليتكَ تدركَ حجم ألمها لتحمد الله على ما سيأتيك .. لعلّك تعيش الحياة الحقيقية التي لم نعيشها نحنُ ..

وبما أنني قصصتُ لك عن الحروب وأيامنا السوداء فأنا قررتُ أن لا أسمحَ لكَ تقرأ لتتجاوز سن المراهقة .. لأن صحتك النفسية تعنيني جداً وأنا لم أستغني عنك من أجل أي شيء كان .

غادة محمد ريحاوي

نوح

سأقصص لكَ اليوم عن صداقتي .. التي كان أقلها فاشلاً وأكثرها صداقات قوية رائعة أراها مستدامة ..

في المرحلة الجامعية ستصادف من لهُ الحق بمصادقتك .. وستكون هي الصداقة الحقيقية التي كنت تبحث عنها منذ زمن

أما أنا .. التقيتُ بالكثير .. أصدقاء المراهقة .. أصدقاء الطفولة .. أصدقائي الكُتّاب .. أصدقائي القُرّاء .. أصدقاء الثانوية .. أصدقاء الجامعة .. منهم من التقيتُ بهم ومنهم من صادقتهم إلكترونياً .. وجميعهم علاقتي بهم كانت محاطة ب الاحترام وحافظة للود وقائمة على واجبات الصداقة وشروطها.. ولا تتخطى حدوداً وضعتها أنا لتجنب غدر الأصدقاء ..وهذهِ الأشياء تعلمتها من صداقاتي السابقة ..وبدأتُ بتطبيقها في مرحلة الجامعة علماً أن أصدقاء الجامعة كُنتُ أراهم أُسرتي التي أقضي معها يومي .. يفتقدون لجلستي ويعبرون عن حبهم لي.. وكُنا عندما نرى الحزن بادياً على ملامح أحدنا نقبضَ عليه ولا نطلق سراحهُ حتى نشعر بأننا انتشلنا منهُ كافة الشعور و استبدلناه بسعادة حقيقية تُسعدنا جميعاً ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

الصداقة الحقيقية يا ولدي هي التي تشعر بها عندما تصادف التعب .. عندما تهرب لذاتك و تصادف أصدقائك قبل وصولك .. ودائماً سأتمنى لك صديقاً مرحاً ك صديقي أحمد ومُحباً ك أحمد الآخر ..ورائعاً ك فاضل وهادئ ك مُحمد وملتزم دراسياً ك يُوسف وأنيق ومتفوق ك ابراهيم وكاتب متألق ك رامز و متكلم ك علي ..

وذو قلبٍ طيب ك عبد الغني .. وملتزم دينياً ك عُدي

وأيضاً صديقة لطيفة ك نجاح و ضحوكة ك روان وذات ملامح طفولية ك فاطِمة ..وتحمل قوة راما .. وهادئة ك لمى وقريبة من القلب

ك حنين

أصدقائي كانوا هم الشجرة الثابتة التي دائماً استظلُ بِظلها ودائماً أتمنى لِصغيري مثلهم

غادة محمد ريحاوي

نوح

القلب .. هو الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تحافظ عليه بيدك وتهدمهُ بها متى شئت .. وحبذا يا صغيري أن تنتزع الشعور الذي لطالما آلمك .. لأنك أدرى بذاتك من أي أحد ..ولا يوجد دواء بهيئة شخص .. إن لم تداوي جروح يدك بيدك الأخرى فأنت أضعف من وردة اقتطفوها تتمنى أن تصرخ بهم كونهم قتلوها .

أما الحب يا حبيب أمك هو الدب الذي نُمسك يده بلطف ومحبة ونأتي به لِكرمنا .. هو وجعٌ نسعى نحنُ لننالهُ .. أتمنى أن تُسعد ببدايتهُ وأخشى من تذوقكَ مرارة نهايته ..

حيثُ أن كسور الحب صعبةُ الجبر

الشوق هو الشيء الحقيقي الوحيد الخارج عن سيطرتك .. لا تستطيع التحكم بمشاعرك كونها بإرادة الخالق ..

هو الذي يولد من الفقد .. وأساسهُ الحب ..

وحسب إحدى نظرياتي أن البعيد عن العين يشتاق لهُ القلب دوماً ويشقى بفقدهِ وربما يهلك .. وهُنا يولد الشوق .

غادة محمد ريحاوي

نوح

الفصل الثانـي ...

خيالياً ...

للحب قوة وسلطة
وقانونهُ يُطبّق على الجميع ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

الأزمات الاقتصادية والمبالغ الخيالية كانت عائق أمام جميع الذين أحبوني .. بناء المنزل هو مشروع رأس ماله ملايين.. ومن يملك هذا المبلغ الآن؟

والداي كانا على دراية بكل شيء شخصي يصادفني

حتى حب الطفولة الذي أذكرهُ حتى الآن هو شاب وسيم ذو لحية شقراء رأيتُ بهِ نسخة مصغرة عن صفات والدي .. وكان الأحمق يراني الطفلة الصغيرة التي لا تعرف عن الحب شيء وهو لا يدري أن حبي لهُ استمر أربعة سنين وبقي حيَّ داخلَ قلبي .. وبعدها نضَجت أُمك وتناست هذا الوسيم الذي ذهبَ مع الماضي وعِند نضجي اكتشفتُ يا عزيزي أنني لا أفضل هؤلاء المريضين بنقص الميلانين المغرورين أي أنني لا أتمنى هذا الفارس الذي أضاع طريقهُ أليّ أن يكون أشقراً ..

وإن جاء حتماً سيواجه الرفض مني ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

ليس فقط هذا الأشقر المغرور ولا الأسمر ذو العينتان التي تحمل لوناً تنافس بهِ حبات الزيتون ولا أي أحد كان قادراً على اعطائي وعداً بأنهُ سيحفظ الحب الذي بدرَ مني .. أو أنهُ سيحافظ عليّ

فأنا أحببتُ بزمن الوعد فيه غالٍ ولا أي أحد يناله ..

ربما كانوا محقين .. وكان حبهم لي حقيقي ..

فأنا إن شعرتُ بالحب ووجدتُ أن وجودي بجانب من أحب يسبب لهُ الأذى فأكون حتماً قادرة على التخلي حِفاظاً على سلامتهُ ..

وأنت عزيزي إن حافظت على سلامة من تحب بالتخلي فأنت وصلت لأعظم مكانة في الحب وأكثرها ألماً .

غادة محمد ريحاوي

نوح

سوريا (حلب) ٢٠٢٣

عند الثامنة والنصف صباحاً في كل يوم ماعدا الجمعة ..بكافيتريا الكليّة على طاولتي المعتادة أُعيد دراسة المواد السابقة التي رسبتُ بها والسبب هو تسيُبي الدائم لدراستي .. صوت فيروز الذي يملئ المكان في هذه الأثناء دائماً ..وكم أنهُ يسعدني كونني من عُشاقها .. هذا الصباح الذي اعتدتُ عليه بات جزءً من قواعدي اليومية ..

أنظر حولي أينَ هو الشاب الذي يستحل الطاولة أمامي كل يوم .. ويزعجني برائحة سجائره .. يبدو أنه أطلقَ سراحي لأتنفس هواء نظيف هذا الصباح ..

وها هو القط الذي ذكرتهُ الآن أراهُ من بعيد وسيجارتهِ تتوسط أصابعه .. كم أنه مزعج ..

تخطى عتبات المقصف وك العادة ع الكرسي المقابل لطاولتي يجلس وقبل أن يأتي بقهوتهِ ..يصمد لي علبة سجائرهِ على الطاولة ويذهب ليأتي بقهوتهِ التي تنتظرهُ .. وكأنهُ رئيس الجامعة وليس طالباً فيها .

غادة محمد ريحاوي

نوح

اليوم التالي في مكاني المعتاد أمام المُدخن .. أرى أن المكان كئيب جداً لا يصلح للدراسة اليوم .. أخرجتُ دفتري وبدأتُ بالكتابة لكَ .. لا هُناك أحداث تذكر اليوم .. أغلقتُ دفتري وأخرجتُ رواية نبض لأدهم الشرقاوي التي أقرأها ..وصلتُ لذاك المقتبس الذي يقول (بي عطشٌ لا يرويهِ إلا أنتِ .. أنتِ ماء قلبي والقلوب لا تعرف التيمم يا نبض ..إما أن ترتوي بمن تحب أو تعطش حتى تجف) سرحتُ بأفكاري عِندها .. أحقاً يوجد هذا الحب ؟

أحقاً سيأتي من يقول لي هذا ؟

أعلم أن الحب الحقيقي هو الذي عرفهُ لي والدي ..حين سألته عنه .. أذكر الحديث الذي دار بيننا حتى الآن

_ أبي ..ما هو الحب الحقيقي ؟

_ هو حب النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة ..

_ وماذا أيضاً ؟

_حب أبا العاص للسيدة زينب ..

_وماذا أيضاً ؟

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ إن رأيتِ أحداً يتصف بصفات النبي في هذا الزمن فاعلمي أنه يوجد حب حقيقي وستعرفينه بنفسك

_ أحاطني اليأس .. كم سأنتظر ؟؟.. وأنا لم أرى سوى الشباب الذين لا يعرفون الصلاة على النبي حتى يعرفون صفاته

صحوتُ من سهوتي على بقعة قهوة تتوسط سترتي البيضاء التي ارتديها ..

لقد انزلق الكوب من يدي وأنا أبحث عن الحب في مخيلتي .. هذا دليل على أن نسبة غبائي بدأت تلامس السماء

نظرتُ أمامي.. لفتت انتباهي نظرة المدخن لي وابتسامته الخبيثة وكأنه كان ينتظر أن يراني بموقف محرج منذ زمن ..

أخرجتُ مناديلي بعصبية واضحة بدت لهُ حتماً.. ثم سمعتهُ يقول ..

_هذه إحدى عقوبات الشرود

غادة محمد ريحاوي

نوح

قلتُ لهُ

_ أتُخاطبني؟

_من أراه كل صباح غيرِك ؟

_ومن يعكر لي الأوكسجين الذي أستنشقه غيرَك ؟

_أنا؟ .. كيف؟

_بسجائرك المؤذية يا أستاذ

_مهندس لو سمحتي

_حتى لو كُنتَ طبيباً لا يعنيني

_إذاً ..؟

_إذاً ستصمت

وعمَّ الهدوء والتزمَ صمتهُ الذي لم أتوقعهُ .. وبعدها لملمتُ أشيائي وذهبتُ إلى المنزل.. كونَ اللون الجديد الذي تلونت بهِ سترتي بات مزعجاً ..لذا سأحفظ ماء وجهي وأنظفهُ جيداً .. قبل أن ترى أمي تلك البقعة وتوبخني ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

كونها مستعدة أن تستخدم كافة أسلحة الأمهات البدائية منها والحديثة في التعذيب إن شاهدت بقعة على لباسي ..

في اليوم التالي كالعادة .. عند الوقتِ ذاتهُ .. وصلتُ لطاولتي المعتادة ورأيت ذلك الغبي يترأسها .. وقفتُ أمامهُ وقلت ..:

_ كأنك مريض؟

_ أنا؟ .. لا أبداً شكراً على سؤالك زميلتي

_ لم استفسر عن صحتك لتشكرني .. أسألك إن كُنتَ مريضاً كونك نسيتَ مكان طاولتك ..

مع ابتسامةٍ عريضة قال لي ..

_ لا لم أنسى .. ولكن احببتُ أن أُجالِسُكِ اليوم ..

_ وإن لم أسمح لكَ ؟

_ حينها سنتبادلُ الأماكن اليوم وتجلسينَ أنتِ على طاولتي وأنا سأكتشف ميزات موقعكِ الجغرافي وإن أعجبني سأحتلهُ

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ لا تتوقع مني أن اسمح لك .. أنا لم أجلس على طاولة أخرى سوى طاولتي ..

_ إذاً اجلسي ..

جلستُ والنيران التي تشتعل داخلي وصلَ أثرها لوجهي كانت توّد أن تحرقهُ كما هو أنيقاً ..ولكنني تمالكتُ أعصابي وجعلت الأمر طبيعياً أمام زملائي الحاضرين ..

_ أأُحضر لكِ القهوة أم أمازلتي صغيرة لا تجيدي احتسائها ؟؟

هُنا شعرت بأن أعصابي بدأت تنفد مني ولم أعد أجيد التحكم بها ..

قلتُ لهُ ..

_ سأحضرها بنفسي لم أطلب منكَ شيئاً ..

_الإتيكيت فوق كل شيء

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ إذاً.. سادة لو سمحت

ذهبَ وتمنيتُ لحظتها أن لا يعود كون أسلوبه الاستفزازي جعلني أتمنى أن أُعلّم أصابعي على إحدى وجنتيه ..

أمنيتي لم تتحقق وها هو في طريقهُ ألي ..

كأنه أنيق بشكلٍ زائد اليوم ..!!

_ تفضلي

_ شكراً لكَ علماً أنكَ لم تستحق الشكر مني

_ والقهوة ؟

_ اعتبرتها اعتذار عن قهقهتُكَ المحرجة عليّ البارحة

_ لكنني لا اعتذر

_ أعلم .. ولكن لإرضاء نفسي اعتبرتها اعتذار

_ حسناً ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ أصمت الآن يجب أن أقرأ

_ ماذا تقرَئي ؟

_ أشياء لا تفهم بها

_ وكيفَ وصلتُ الجامعة بضعفَ معدلِك وتخصصتُ الهندسة ..

_ ألا تعلم أن حظّ المجانين يأتي دبلاً

_ نعم مجنون كونني أجالس فتاة وأناقشها دون أن أعرف أبسط الأشياء عنها وهي اسمها

غادة محمد ريحاوي

نوح

_غادة

_ وأنا نوح

_ نوح؟؟ .. أحقاً ؟؟

_ لا .. ولكن أحببتُ الاسم الذي كان يتوسط غلاف دفتر مذكراتك

_ أنهُ لطفلي المستقبلي

_ أتمنى أن يكون كأبيهِ كونَ أمه مجنونة

نظرتُ لهُ نظرةً تقول أن حماقتهُ قد بلغت حدها

فقال لي

_ أعلم

_ماذا تعلم ؟

_ أن حماقتي قد بلغت حدها .. ولكن يبدو لي الأمر غريباً

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ما الغريب في الأمر؟

_أن الزمن الذي توصلنا إليه هو بعيد عن الحلول الوسطى .. هناك من يرمي طفلهُ في الشوارع ليلاً لأسباب مجهولة لدى الجميع وحتماً سمعتي بالحالات المتكررة وهناك من يكتب لطفلهِ قبل أن يأتي ك حضرتك .. أين الوسطية الذي كُنا نتميز بها وجعلتنا مضرباً للمثل بها في كافة الشعوب العربية

_ لا أعلم .. أنا حقاً لا أعلم إن كانوا يحملون قلباً أم كتلة دهنية لا تحمل مشاعر تجعلهم يتصرفون ذلك من غيرِ رحمة ..

أنا أكتب لطفلي كونني أحببتُ أن أقدم لهُ شيئاً مني فقط بعيداً عن أباه

_ ولِمَ اخترتِ لهُ اسم نوح ؟؟

_ لعلهُ يكونَ هادئاً ويأخذ كُلّ النصيب من اسمه .. كونني لا احتمل الضجة .

_ نعم ، سبب مقنع .. تعرفينَ جيداً كيف تصنعينَ أجوائك الخاصة بأدق التفاصيل .

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ أجد نفسي حريصة على تلك الأمور بشدة ..

أدق التفاصيل التي لا نلتفت إليها هي سبب رئيسي من سعادتنا الكبرى

_ أأنتِ ذاتها الفتاة التي أراها كل صباح مُحاطة بقشور الغرور ومتلبسة بثوب (العنجهية) ؟؟

لم أتوقع يوماً أن تكونينَ تلكَ التي هي أمامي الآن

_ أحقاً ؟؟ كان يجب أن تراني أتبسم لك كل صباح حتى تكتشف أنني لطيفة

_ ومن قالَ أنتِ لطيفة ؟

أنت تملكينَ بعض اللطف ولكن الصفة الطاغية لديكِ هي النضج الواضح لكل من يناقشكِ

_ شكراً لك

_ أنا لم أُجاملكِ ولكن أبوح عن الذي رأتهُ عيني

أُحرِجتُ من كلامه

_ اعتذر لدي الآن محاضرة .. شكراً ع القهوة

وركضتُ مُسرعة هاربة منهُ .

غادة محمد ريحاوي

نوح

وصلتُ المنزل بعد انتظار الحافلة ساعتين على التمام واستلقيتُ على سريري بتعبٍ فائض لا أريد سوى النوم .. تذكرتُ يومي كيف مضى ..وصباحي الغير مألوف اليوم

ولكن بعض النظر عن حماقتهِ إنهُ شابٌ لطيف ومتعلم ويجيدُ قراءة ما أقولهُ عنهُ داخلَ نفسي ..ولكن إن وجدتهُ غداً على طاولتي لن أجلسَ معهُ .. وتركتُ أفكاري تفعل ما تشاء واستسلمتُ أنا للنوم .

في اليوم التالي تجاوزتُ عتبات باب الجامعة ولكن اسمع صوت أحد ما يردد اسمي

_ أنسة غادة .. أنسة غادة

التفتُ إلى الوراء وجدتُ ذلك المُدخن يمشي على استعجال ليصلَ إليّ

تعجبتُ من أناقتهِ التي تزداد يوماً بعد يوم .. ولكن من غير أن أجعلهُ يشعر بأنني معجبة بذوقهِ النادر .

غادة محمد ريحاوي

نوح

قطعَ صمتي وقال

_كيفَ حالُكِ اليوم ؟

_ الحمدُ لله بخير ..

هُنا وجدتُ نفسي حمقاء لأنني لم أبادلهُ السؤال

فقالَ مجدداً

_ وأنا أيضاً الحمد لله بألف خير

ابتسمتُ له ابتسامة لطيفة وتابعنا طريقنا إلى المقصف ذاتهُ

من غير استئذان تابع مسيرهُ معي لطاولتي وأزاحَ لي كُرسياً لأجلس .. حركاتهُ تدل على أنهُ سيعقد معي هدنةً ما..

وضع حقيبتهُ وأخرجَ منها كتاباً بهدف التصنع بالدراسة وخلع سترتهُ ووضعها بترتيب ع الكرسي المجاور

وقال لي

_ دراسةُ الرياضيات سهلة؟

_وكيفَ علمت أنهُ تخصصي؟

غادة محمد ريحاوي

نوح

_من الكتب التي تحمليها

_ نعم سهلة ولكن أنا لا أحب الدراسة لذا لا أهتم لها كثيراً ..

_ كيفَ لا تحبيها ووصلتِ للجامعة ؟

_ بعض الأحيان نتنازل ونفعل أشياء لا نحبها ليسَ عن طيب خاطر ولكن من أجلِ أشخاص أحدى أمانيهم هو تفوقنا

_ ومن هم هؤلاء

_ والداي

_ أي أن لولا والداكِ لم أراكِ هنا ..

_ ستراني بجميع الأحوال كونني أخوض التجارب دائماً

قطع حديثي رنين هاتفه الجوال ليكون المتصل أحد أصدقائه يقوم بتذكيره بالمحاضرة الإضافية المحددة بعد عشرة دقائق

أخذَ حقيبتهُ وسترته بسرعة وقال لي

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ سأراكِ حتماً

_ بكل تأكيد

وذهب ناسياً كتابهُ الذي لفتني وجوده بعد مدة من رحيلهُ ..

أخذتُ الكتاب وقرأتُ العنوان (الاقتصاد الزراعي)

أهذا يعني أنه يدرس الاقتصاد أم الزراعة ؟

تباً لهُ حتى مجال دراستهُ يجعلكَ تُفكر

ولكن قال لي أنه مهندس .. ربما يدرس الهندسة الزراعية ..

طلبتُ قهوتي واحتسيتها من غيرهِ وبعد انتظاري لهُ ساعتين على أمل أن يعود ليأخذ كتابه

لملمتُ أشيائي أنا الأُخرى ووضعتُ كتابهُ في حقيبتي وذهبتُ لأحضر أول محاضرة لي في هذا اليوم

كان يوماً جميل جداً ..كما قلتُ لكَ يا صغيري أصدقائي رائعين ولا أُصادف الضجر عندما أقضي يومي معهم

غادة محمد ريحاوي

نوح

انتهت محاضراتي عندما شارفت الشمس على المغيب

وعند انتظاري للحافلة أمام باب الجامعة رأيتهُ من بعيد مع مجموعة من الشباب يبدو أنهم أصدقائهُ المقربين ..يضحك من غير أن يشعر أنهُ مراقب من قِبَلي ..

أأذهب إليهِ وأعطيهِ الكتاب .. أم أبقى مكاني وكأنني لم أراه ..

قطع تفكيري صوت الحافلة وكأنها طوق النجاة من التفكير المميت وسط الحشود والزحام صعدتُ الحافلة متذمرة من أزمة المواصلات التي لا تعرف طريقها نحو الانتهاء

نظرتُ حولي .. وفجأة التقت أعيننا .. بدت على ملامحهِ الدهشة السعيدة وكأنهُ رأى أمه .. أضحكتني تعابير ملامحهُ عندما رآني .. أتى ألي من بين الزحام وقال

_ كم كان الأمر شاقاً

_ لماذا أتيت ؟ ألقيتُ عليكَ السلامَ من بعيد لا داعي لقدومك

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ أرحلُ الآن ؟

_ لا يكفي أنك استغرقت سنيناً حتى تصل

_ لم أتوقع أن أراكِ هُنا

_ وشاءت الأقدار وخالفت توقعاتك

ومع ابتسامة قال

_ وذلك يسعدني

_ ويسعدني أنا أيضاً

_ لماذا يسعدك؟ من أنا حتى يُسعدُكِ وجودي ؟

_ قُل لي ما اسمُكَ أقولُ لكَ من أنت

_ ألا تعرفي اسمي حتى الآن ؟

_ بسبب فلسفتُكَ الزائدة لم اعرف حتى الآن

_ أحمد

_ تشرفتُ بكَ ..

وقفت الحافلة أمامَ الموقف وتابعتُ قائلة

_أنا سأنزل هُنا

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ هُنا تسكُنين ؟

_ لا.. ولكن أريدُ أن أمشي قليلاً بمفردي

_ حسناً وأنا سأنزل أمشي قليلاً بمفردي معكِ

_ لا داعي لمجيئك

_ لا أحتاجُ رأيك بالموضوع

تركنا الحافلة وبدأنا المسير .. كانت الشمس قد شارفت على المغيب تطغي بالسماء احمراراً توحي بأنها تستحي من رحيلها

قال لي

_ كيفَ كان يومكِ ؟

_ لا بأس .. ك سابقهِ

_ وأنا أيضاً .. ولكن المحاضرة الصباحية لم افهم شيئاً منها .. لقد أضعتُ كتابي

_ لا صديقي لم تضعهُ أنت مُهمل قليلاً عِندما ذهبت صباحاً لمحاضرتك نسيتهُ على الطاولة

اخرجتُ الكتاب من حقيبتي وأعطيتهُ إياه

غادة محمد ريحاوي

نوح

فتحَ الكتاب وأصبح يتصفح ما بداخلهِ

قال لي

_ ألا تكتبين لي شيئاً بهِ ؟

_ مثل ماذا ؟

_ أي شيء علمتُ أنكِ كاتبة

_ ومن أينَ عَلِمتَ؟

_ من مواقع التواصل .. بحثتُ عن اسمك داخل مجموعة كليّتك

_ ولِمَ لم ترسل لي دعوة صداقيه ؟

_ خشيةً من أفكارك عني

_ حسناً

_ أنا سأُودعُكَ هنا على أمل اللقاء غداً .

_ بإذنهِ تعالى .. سأبعثُ لكِ دعوة

_ قِبلتها من الآن

_ شكراً لأنكِ استمريتِ باللطف

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ العفو .. إلى اللقاء

وتابعتُ المسير إلى منزلي وخوفٍ ما يراودني .. نعم .. كُنتُ خائفة من أحمد .. خائفة من محاسنهِ .. وأنا التي لم أسمح لأحد أن يتجاوز معي خطوطهُ الحمراء وكُنتُ بعيدة كل البعد عن أولئك اللذين يقتربون مني .. لأنني أخشى الفِراق .. نعم يا صغيري كُنتُ أضعف من لحظات الوداع التي تفاجئنا بها الحياة ..

والتي تجعلنا ننسى من كانوا أقربهم إلينا .. أنا لا أحملُ ميزة مسح الأشخاص .. لأن الحياة بالنسبة إلي عظيمة ولكن لا تستحق أن أتنازل عن أحبتي من أجلها ..

وصلتُ المنزل وأفكاري تابعت مسيرها بجانبي بعد أن ذهب أحمد

هُنا قررتُ أن أعطي نفسي استراحة من الأحداث وأن لا أواجه أياً منها غداً.. لن أذهب إلى الجامعة.

غفيتُ بعد أرقٍ استحلَ ليلتي من غير استئذان كما استحلَ أحمد طاولتي ..كم كانت ليلة مُتعبة. ولكن نسيتها عندما استسلمتُ للنوم

نوح

في صباح اليوم التالي في السابعة تماماً كانت الشمس هي من أيقظتني .. صحوتُ جيداً وابعدتُ عني طبقات الأغطية التي تضعها عليّ أمي كُلما شعرت هي بالبرد

وأنا مللتُ من إقناعها بأن هجمات البرود تسكُن جسدها ولم تلتفت إليّ أبداً

تذكرت .. إلى أين سأذهب أنا؟ .. والإجازة التي أعطيتها لنفسي ؟

عدتُ لسريري ووضعتُ طبقات الأغطية وتشكرتُ أمي من أعماقي كونَ الأغطية ساعدتني على النوم مجدداً ..

صحوتُ على قُبلات آدم ورائحة البيض التي تحضرهُ لنا أمي بسعادة لأنني حققتُ إحدى أحلامها وهي أن نجتمع على الفطور ..

أمي من داخل المطبخ

_ غريب .. كيفَ تنازلتِ

_ شعرتُ أنكم بحاجتي اليوم

_ نعم أنا بحاجة من يُكمل عني تحضير الفطور

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ إذاً أنا سأذهب للجامعة

وتعالت صوت ضحكات أبي عِندَ سماعي..

كم تجعلني سعيدة أجواء الصباح هذه ..

أترى يا أحمد هربتُ مِنك إليّ .

غادة محمد ريحاوي

نوح

مساءَ ذات اليوم .. فتحتُ (موبايلي) لأقوم بالتصفح.. لأرى طلب مراسلة من أحمد يقول لي

_ الخير لم يصيبني هذا الصباح يا أم نوح

اعتدتُ على صباحُكِ .. لِما لم تأتي؟

ابتسمت على كلمتهِ (أم نوح) أيراني كبيرة لهذا الحد؟

كتبتُ لهُ

_ أهلاً بالمدخن المزعج .. قلتُ لنفسي يجب أن أجعلكَ تتذوق مرارة الصباح من دوني لتقدر حجم النعمة التي أنت بها

بسرعة ظهرت لي الإشارة التي تعني أنهُ شاهد رسالتي وكأنهُ كان ينتظر أن أُرسل

_ قررتُ أن أمتنع عن التدخين إن كان يسبب الإزعاج للناس أكثر ما يؤذيني

رسالةً أخرى قال فيا

_ نعم صدقتي .. كان صباحاً مريراً .. صِدقاً لم أتوقع أن وجودك يسبب لي الراحة بهذا الشكل

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ أعتذر إن تسببتُ لكَ بأمرٍ سيء

_ اعتذارك مرفوض وسيُقبل في حالة واحدة

_ماهي؟

_ أن تشاركيني الفطور صباح غد بعد القهوة

_ اعتذر لديّ محاضرات يجب أن أحضرها

_ من يسمعكِ يقول أنك من العشرة الأوائل في الدفعة لو أعلم أنك مهتمة لأمر دراستك لم اقترح عليكِ ذلك ..

_ سأناقش الأمر مع نفسي ليلاً وسأقول لكَ قراري غداً

_ إذاً سأتصل(بالكاشير) ليخبر صاحبي المطعم بتجهيز الفطور

_ وإن رفضت ؟

_ لا مجالاً للرفض

_ إذاً وافقتُ من الآن إن كنت مُصرّاً كل هذا

_ شكراً لكِ كونكِ قبلتِ

غادة محمد ريحاوي

نوح

_ العفو .. إلى اللقاء

كان أحمد هو الشخص الذي سيطرَ على ليلي .. كلامه .. حضوره.. حركاته .. احترامه الزائد لي .. منطقهُ .. نضوجهُ جميعها لا تُنسى ..

في صباح اليوم التالي استيقظتُ بنشاطٍ زائد ارتديتُ أجمل ما لدي وكان اهتمامي بذاتي مُضاعفاً ..

تأخرتُ على أحمد بسبب الموصلات .. وفي كل بضع دقائق أراهُ يتصل خوفاً من أنني لم آتي .. وصلتُ وأخيراً بعد ساعتين من خروجي من المنزل .. وصلتُ وكان أحمد في انتظاري ..

يوماً بعد يوم أراهُ أنيقاً .. حديثٌ بعدَ حديث أراهُ حلماً لكل فتاة .. كيف لي أن أغضّ نظراً عن محاسنهِ وأنا التي لم أرى مثلها على الإطلاق ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

قلتُ لهُ

_ افتقدتُ لرائحة السجائر

_ ستفتقدينها كثيراً كونني أقلعتُ عن التدخين

_ أسعدني ذلك كثيراً .. أنهُ أول الاخبار السعيدة التي تصادفني

_ نعم .. كونهُ يسبب إزعاجك وليسَ من صالحي أن أجعلُكِ تبغضيني

_ ولِمَ ؟

_ طمعاً بِكِ وبحروفكِ .. لعلّ وعسى إن تمّ ذكري بإحدى كتابتِكِ تكون بطريقةٍ حسنة

_ أنا لا أكتب عن أي أحدٍ بشكلٍ سيء

_ ولم تصفي أحداً بالأحمق؟

_ بلا .. إنها إحدى شتائم الأُدباء

هُنا توسط وجه أحمد ضحكة جعلت عيناي معلقة بجماليتها .. كيفَ له أن يجعلني أُذهل بضحكة فقط ؟

غادة محمد ريحاوي

نوح

قضيتُ مع أحمد ثُلثَ يومي .. كأنها عبارة عن بضع دقائق .. مضت بسرعة كبيرة .. هي إحدى عيوب السعادة ..تتأخر في مجيئها ..وعندما يأتي دورنا بها تذهب سريعاً لتلحق أن تزور كل من يطلبها.

واصلتُ تفكيري بأحمد ليلاً .. سألتُ نفسي .. هل هو الحب؟ .. أهذهِ إحدى علاماتهِ ؟..

تذكرتُ حينما قرأت كلام الطبيب الروائي أحمد خالد توفيق حيث قال (ليسَ حُباً بالتأكيد .. لكن الهشاشة النفسية تجعلك تتشبث بأي إنسان وتشعرك بأنك تهيم بهِ حباً)

نعم سأقنع نفسي بمقولتهِ .. ولم أطرق أبواب الحب .. حيثُ لهفتهُ شيّقة .. بل شاقّة .. وأنا أضعف من أن أخوضَ تلك المعركة .. وأقل قدرة على أن أقتل نفسي بنفسي

غادة محمد ريحاوي

نوح

اعتدتُ على صباحاتِ أحمد لمدةِ عام .. كان لحضورهِ لذّة لا يعلم بها أحداً غيري ..ولكلامهِ لذةّ أخرى .. ولسماعهِ .. ولضحكتهِ ..ولكلّ شيءٍ محيطاً به .. باختصار يا صغيري كانَ للثامنة والنصف سعادةً تُشاركنا الطاولة .. وأصبحَ صباحُنا لا يُصبح إلا بوجودنا عليها .

غادة محمد ريحاوي

نوح

عاماً كاملاً لم أقضي صباحي بمفردي ودائماً ما كان أحمد يشاركني

قال لي احمد اليوم أنهُ سيخبرني بموضوعٍ هام .. ارتديتُ ملابسي على عجل وعند الثامنة والنصف كُنت انتظره بذات المكان

أتى بعد تأخره لبضعة دقائق وقال لي

_ أعتذر عن التأخير ولكن تعلمي ازماتنا لا تنتهي

_ أعلم .. ولكن أفكر الآن بموضوعك الهام الذي جعلني أفكر بأن هناك شيءٌ سيء سيحصل

_ ربما صدقتي بإحساسك

لقد وقّع الحزن على ملامح وجهي .. وبدأت نبضاتي تتسارع

_ قلي لي احمد ماذا حصل؟

_ أنتِ تعلمي أن الوضع الاقتصادي لم يسمح لنا بإكمال حياتنا بجانب من نحب وبات السفر أنسب جميع الحلول التي كُنا نعطيها لأنفسنا

غادة محمد ريحاوي

نوح

هُنا شعرتُ بطبقة شفافة سائلة أحاطت بؤبؤ عيني فحجبت عني رؤية احمد بشكلٍ واضح .. حيثُ تابع كلامهُ

_ صباح غد طيارتي إلى ألمانيا .. حيثُ هناك سأبدأ بتأسيس نفسي .. وفرص العمل لدي هُناك متوفرة أكثر من هُنا ..

دمعةٌ واحدة سقطت بحرقة وكأنها خرجت من روحي التي أشعلها ذلك الخبر .. أتعلم يا نوح أن أبغضُ الفِراق كما قلتُ لك .. فكيفَ إن كُنتُ سأُفارق أحمد ..

امسكَ أحمد يدي في هذه اللحظة .. تلك اللحظة التي لم يجرؤ على فعلها طيلة العام .. قطع صمتي بإكمال حديثه

_ أُحبُكِ ..

يجب أن تعلمي هذا منذُ عام ..ولكن كُنتُ سعيد بلحظاتي معكِ .. كُنتُ كأنتِ أخشى الحب .. وكُنتُ اخاف من قدر الله أن يبعدُني عنكِ ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

في حجرة الصداقة حفظتُكِ .. اعتدتُ عليكِ .. طلبتُكِ من الله طيلة الليالي .. وأحببتُكِ جداً .. و الحمدُ للهِ على ما كتبَ لنا

أنهاراً هي التي كانت تجري على وجنتي .. ودمعُ أحمد لم يحتمل شدة الألم فخانتهُ رجولتهُ أيضاً ..

قلتُ لهُ

_ في أي ساعة طائرتُكَ؟

_ في الثامنة والنصف صباحاً

بذات التوقيت ولكن بمكانٍ مختلف سيكون آخر صباح لنا .. قررتُ ألا أُخبركِ واختفي فجأة .. ولكن خشيتُ أن تنتظريني كثيراً

تلك اللحظة التي كانت مُحاطة بالدمعِ وألم القلب

جعلتني أن أصرخ ولكن بمفردي .. بعيدة عن أحمد وعن الألم الذي سببهُ لي .. بعيداً عن صباحهِ ..عن لحظاتهِ .. وعن الثامنة والنصف .. ركضتُ مسرعة

نوح

وبدأت خيبتي بملاحقتي .. وبدأتُ أشعر بألم الحب الذي خلفهُ أحمد قبل رحيلهِ ..

وصلتُ المنزل عند مشارف الليل ..

أمسكتُ هاتفي وبدأتُ بكتابة رسالة لأحمد ..

(أود أن أشكر صباحَ عاماً كاملاً .. وأحمل الودّ للقهوة التي سقطت من يدي.. التي جعلتكَ أن تبدأ قصةَ حُبٍ نهايتها مؤلمة كأغلب القصص .. عقدتُ قلبي بِكَ حينها .. ولكن .. أنت تعلم كبريائي الذي لم يسمح لي أن اعترف وأبوح لكَ بشعوري .. كُنتُ أود أن أقصص لكَ عن أي ما كان منها .. مثل فيروز التي بحضوركَ تكتمل طقوسها .. أو عيناكَ .. أو اسمُكَ الذي كان بداية لكل يومٍ أحيا بهِ .. نعم .. أُحبُكَ يا أحمد .. يا لهفةُ الصباح .. يا لذةُ القهوة .. يا روعةُ الطريق .. و يا خيبةُ الحب التي كانت

اعتذر عن القدر الذي كان أسوأ مما نتوقع .. واعتذر نيابتاً عن السعادة التي لم تنالها بالحب ..

أُحُبُكَ يا صباحي الذي تخلى عني .

غادة محمد ريحاوي

نوح

أعتذر .. لن أذهب للمطار غداً .. كون لحظة رحيلكَ مؤلمة وأشدُها حُزناً على قلبي)

صباح اليوم التالي الذي كان مرتبطاً بليلهِ كان أحمد في طريقهِ للمطار وأنا في طريقي إلى الجامعة .. أرسلَ لي رسالة قبل أن يركب الطائرة (سأفتقدُ صباحكِ يا أغلى ما لدي .. أتمنى أن تبقي كما أنتِ وأنا سأعمل على أن أجعلكِ تنتهي سريعاً من كتابة رواية نوح .. أُحبك)

قرأتُ كلماتهِ بقلبٍ يخفق.. كان يطلب أن يلاحق أحمد ولكن لم استجب لهُ .. دخلتُ المقصف وجلستُ على الطاولة .. طلبتُ القهوة .. وبدأتُ أبكي .. كانت جميع الأشياء الموجودة تشاركني الألم .. جميعنا افتقدنا فِراق أحمد .. حتى الثامنة والنصف لم ترحل حينها .. توقف الوقتَ .. وتوقفَ نبض قلبي .. وكل شيء بغيابهِ أصبح عاطلاً عن العمل ..حتى الحافلة التي صعدتُ بها عند طريقي إلى المنزل كانت تضجُ بأغنية كاظم (بعدَ الفِراق .. رأيتُ الصبرَ شيعني بعد الفراق .. في صحوةِ الفجرِ .. أمشي مشيَ سكرانِ) .. جميعُنا

نوح

أصبحنا نتشارك حُزنَ غيابك .. لعلّك راحلاً يليقُ بهِ الشوق والحنين معاً ..

أرجوكَ أن تعود.. حتى وإن كُنتَ مُدخناً .. سجائرُكَ لم تعد مزعجة .. وأُوكسجين الصباح الذي كُنتَ تُلوثه سوف أستنشقهُ من غيرِ إزعاج .. كيفَ لي أقصَّ الوقت وأجعل الحياة من غير الثامنة والنصف.. فأنا افتقدتُ الخير عند كل صباح .

غادة محمد ريحاوي

نوح

عامٌ آخر مضى على غياب أحمد.. بقينا على تواصل دائم .. أحببتهُ اكثر .. افتقدتهُ اكثر .. وبتُ أقضي معهُ جميع أوقاتي..

اليوم هو ذكرى مولدي الحادية والعشرون .. عاماً من غير أحمد لم أعترف بهِ ..

أحمد ليسَ هُنا ليجلب لي ورداً وساعة يضبطها على الثامنة والنصف وعطراً بعبوة جميلة .. وقلماً لأذكرهُ عند دراستي ..كما العام الماضي

صحوتُ عند السابعة صباحاً .. منذُ إن سافرَ أحمد لم أصحى باكراً .. ولكن صديقتي تحمل بعضاً من الجنون لابد أنها ستفاجئني بشيءٍ ما في هذا الصباح ..

ارتديتُ ملابسي وذهبتُ إلى الجامعة .. وقفتُ أمام (المقصف) حيثُ مكان لقائنا أنا وأحمد .. شيءٌ ما جذبني للدخول .. لأتذكر .. لأتخيل أحمد .. لأشعر بوجودهِ .. اشتقتُ لهُ وللثامنة والنصف التي كانت تجمعني بهِ على هذه الطاولة .. وضعتُ رأسي عليها ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

وبدأ شريطُ الذكريات يستعيد نفسهُ من أولى لحظاتهِ إلى آخرها ..

شعرتُ بيدٍ تمسح على رأسي .. قلتُ وأنا أنهض

_ لِمَ جعلتي موعِدنا هُنا ؟

وإذ ب عيناي تعانق أحمد .. نعم أنهُ هو .. بطلتهِ .. بجمالهِ .. بأناقتهِ .. يحمل بيدهُ ورداً ولهولة ظننتُ أن الورد هو من يحملهً .. تجمدتُ في مكاني مُعلقة عيناي به .. قطع صمتي قائلاً

_ اعتذر عن التأخير خمس دقائق حتماً تعلمي ما السبب

بكيت .. بكامل قواي أنا اراهُ أمامي .. أنهُ صوتهُ .. حضنتهُ .. لم أقدر أن أتجاهل شعوري بذلك الموقف .. أمسكَ يدي وقبّلها .. وقال

_ أيعقل ألا اتواجد بعيدِ ميلادك الأربعون ؟

ضحكتُ من بين دموعي .. مازال قادراً على تلك المواقف ولم ينساها

قلتُ لهُ

نوح

_ نعم .. عامكَ هذا قد مرّ عليّ عشرونَ عاماً

_ إذاً يجب أن نعجّل

_ بماذا؟

_ بالزواج .. لنجلب نوح

أصابتني الدهشة ..بدأتُ أتأمل أحمد وكأنهُ المارد الذي سيحقق جميعَ أمنياتي

قلتُ له..

_حقاً ؟

_ نعم .. لم أعد قادراً على فراقكِ ساعةٍ زائدة

أخرجَ من جيب سترتهِ عُلبةً صغيرة حمراء مخملية .. فتحها وأخرجَ منها خاتماً

قال لي

_ أتقبليني أباً لنوح ؟

_ كيفَ لا أقبلُكَ وأنتَ روحاً لأمهِ

غادة محمد ريحاوي

نوح

الفصل الثالث ...

لا تيأس

ربما الله يحرُمكَ ساعة
ليعوضكَ طيلة الدهر ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

مرّ عاماً على زواجي من أبيك .. كان لي زوجاً صالحاً كما أحلم وكما كُنتُ أطلب من الله ليلاً أن تكونَ نهايتي معهُ سعيدة .. وهذا ما حدث .

أتت شقيقتُكَ شمس بدايةً .. وبعدها سافرنا لألمانيا حيثُ هناك عمل أباك كان مستمراً ..

كُنتُ اتوقع دائماً يا صغيري أن الحب ينقص بعد الزواج .. ولكن .. ماكنتُ أراهُ من أبيك كان على العكس تماماً .. حبهُ لي استمر بالتكاثر .. وأذكر أنهُ

عندما علِمَ عن موضوع حملي بشقيقتُك .. قام بتحويل غرفة من منزلنا لمكتبة مليئة بالكتب .. كما كنت أحلم .. لأقوم بتربيتكم داخلها .. هنا كانت سعادتي الكبرى عندما أثبتَ خطأ نظريتي عن الحب واستمراره ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

حملتُ بِكَ في ألمانيا .. كان قد مرّ على زواجنا ثلاث سنوات .. وعندما تجاوزتُ الشهر الخامس بكَ .. ذهبنا لسوريا .. لأنجِبُكَ هُناك .. دارت أحاديث كثيرة .. وبدأ أبيك أن يُعارض اسمك .. حينها قال

_ دعينا نسمي مُحمد لعلهُ يتصف بصفات النبي عليه الصلاة والسلام ومنها أيضاً على اسم والدي ووالدكِ وبعدها ننجب نوح

_ أحمد .. أرجوكَ حبيبي لا تقوم بهدم ما بنيتهُ لنوح

_ سننجب نوح ولكن مُحمد أولاً

بدأت علامات الغضب على وجهي ..

تابعَ قائلاً لأمي ..

_ أترينها؟ .. كيفَ قمتي بتحملها إحدى وعشرون عاماً

تبقى ثابتة على رأيها وكأنهُ طِفلها فقط .

غادة محمد ريحاوي

نوح

قلتُ لهُ بصوتٍ عالٍ

_ أنت وعدتني بنوح .. وعندما طلبتني .. طلبتَ أن تكون أباً لنوح

قاطعتني أمي

_ اخفضي صوتكِ يا عديمةُ الآدب .. زوجكِ مُحق

قلتُ أنا غاضبة

_ نعم .. احمد على صواب دائماً .. ما يفعلهُ أحمد هو الصحيح .. ما يحبهُ أحمد يجب أن يكون

أترى سيد أحمد ؟ إذاً أُنجب أنت وسمي ما يحلو لك

ضحكَ أحمد ضحكة هستيرية توحي بأن ما قام به من استفزاز لي كان بقصد

قال لي

_ أتعلمي أنكِ أغلى ما املك .. وأنني وعدُتك أن أوافق على كل ما تطلبي ..ولكن يا صغيرتي أن لأبي حقٌ عليّ و لأباكِ أيضاً .. وأنا سأقترح عليكِ أن نسمي مُحمد نوح أتقبلين؟

غادة محمد ريحاوي

نوح

أتعلم يا نوح أن أباك أتى كما تمنيتُ من الله.. وأنا أيضاً أحبهُ كثيراً ولم يسمح لي قلبي أن لا أطيعهُ

كما تعلم يا صغيري أن طاعةُ الزوج هي أول فرائض المرأة .. وانا أخشى عذاب الله ومن ثم أخشى زعل أباك

قلتُ لهُ بهدوء مفاجئ بدا عليّ

_ نعم أوافق ..ولكن لا تقوم باستفزازي مرةً أخرى حتى لا أقومَ بالصراخ بوجهك ويصبّ عليّ غضب الله

_ أوامرُكِ مُطاعة صغيرتي .. اللعنة على الحب الذي يجعلني أهابكِ وأهاب جنونكِ

جاءت شمس الصغيرة قالت

_ متى سيأتي نوح يا أمي ؟

_ قريباً حبيبتي .. لِمَ تسألين ؟

_ ليقومَ بضرب آدم كونهُ صرخَ بوجهي

_ سأخذ حقكِ بنفسي لا تقلقين

غادة محمد ريحاوي

نوح

حان موعد ولادتي بِكَ .. أذكر حينها أنني وصلتُ على حافة الموت وقدرة الخالق هي من انقذتني ..

رأيتُ دموع أبيك للمرة الثانية .. كان يقرأ لي القرآن بجانب رأسي .. وسمعتهُ كان يقولُ لكَ ..

_ أترى يا نوح كيفَ كُنتَ سبباً بألم والدتُكَ وأوجاعها وهي التي انتظرتكَ أعواماً .

استمرَ ألمي بعد الولادة ستونَ يوماً .. ابعدوكَ عني حينها .. كان بالنسبةِ لي الساعة التي تمضي ببعدِك هي يوماً كاملاً .. فِراقكَ آلمني كفِراق رحيل أبيك إلى ألمانيا قبل الزواج

ولكن بعدها شُفيت وقمتُ بتربيتكم .. واكتشفتُ يا طفلي أن اهتمامي بِكم هو من اولوياتي .. كونكَ جئتَ أنت بشقاوة أخي آدم .. ولكن لم أُرجعكَ لأحشائي .. أبقيتُ بِكَ جانبي .. شعور الأمهات التي حكيتُ لكَ عنهُ سابقاً لا يساوي شيء أمام حبي لكم الآن ..

وها أنت نضجت وتخرجتَ من الثانوية العامة ..

وستدرس الطب.. كم أنا فخورة بِكَ صغيري ..

غادة محمد ريحاوي

نوح

أتمنى من قلبي أن تتعلم الحب الحقيقي وتكونَ كأبيك
وأن تشعر بقيمةِ ما قدمناهُ لكم أنا وأباك من حياةٍ بعيدة
عن التي صادفتنا نحنُ

سأقومُ بإهدائِكَ رواتي غداً في يوم ميلادك .. لعلها
تكون أجمل ما سيأتيكَ في هذا العام ..

أُحبكَ ..

النـهايـة

غادة محمد ريحاوي

نوح

غادة محمد ريحاوي